الشعر والشعراء

الشعر مهارة من المهارات الكريمة إذا سخر في الدعوة إلى معالي الأمور، والتنزه عن دنيئها، وقد ورد في الشرع المطهـر ذم الشـعر والشعراء من جهة ومدحهم من جهة أخـرى، فـذم اللـه -تعـالى- في كتابه الكريم الشعر المسـخر في الشـر والكـذب، والقـول بلا عمـل بأن يكون كلاماً فارغـاً وأبياتـاً خاويـة من العمـل والحقيقة! ويـدخل في هــذا هجــاء المســلمين الــذي يــؤدي إلى الفرقــة والإضــرار بالآخرين، ومنه المـدح الكـاذب أو المـدح في الوجـوه المنهي عنـه، ومنــه التفــاخر بغــير الإســلام، كــالفخر بالأحســاب والطعن في الأنساب، لهذا قال -تعالى-: (**وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ * أَلَمْ تَـرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ * وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ**) (**الشعراء**:224-226).
ثم عقَّب بعد ذلك بمدح الشعراء المؤمـنين الصـالحين؛ لأن شـعرهم حسن،فهو يصبُّ في صالح الدين من الدفاع عن المسـلمين،وهجـاء الكافرين، والانتصار به على العدو في المعارك الكلامية،ولهذا قـال -تعــالى-:(**إِلَّا الَّذِينَ آمَنُــوا وَعَمِلُــوا الصَّــالِحَاتِ وَذَكَــرُوا اللَّهَ كَثِــيراً وَانْتَصَــرُوا مِنْ بَعْــدِ مَــا ظُلِمُــوا وَسَــيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُــوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ**) (**الشعراء**:227).

وقد كان للرسول-صلى الله عليـه وسـلم-شـعراء يـذودون عن حمى الدين،ويدافعون به عن حرمـات المسـلمين،فهـذا حسـان بن ثـابت-رضـي اللــه عنه-يسـتأذن النـبي-صـلى اللـه عليـه وسـلم-في هجـاء مشركي قريش وذمهم،فقال له رسول الله-صلى الله عليه وسـلم-: (**فكيف بنسبي**) **فقال حسَّان: لأسـلنك منهم كمـا تُسـلُّ الشـعرةُ من العجينِ**) **رواه البخاريُّ ومسلم،ولما هجا أبو سفيان المسلمين قبــل أن يسلم،طلب رسول الله-صـلى اللـه عليـه وسـلم-من الشـعراء أنْ يردُّوا عليه، فقال عبد الله بن رواحة شعراً فلم يُعجب النبي -صــلى الله عليـه وسـلم-، ثم دعـا كعب بن مالـك فهجـاهم فلم يُـرضِ ذلـك رسول الله، ثم دعا حسان بن ثابت -رضي اللــه عنه- وأخـرج حسـان لسانه وجعل يحركها ورسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقـول:** (**إن روح القـدس يؤيـدك مـا نـافحت عن اللـه وعن رسـوله**)**، وقـد هجـا حسان المشركين بقصيدته الجميلة، والتي منها:**

هجوتَ محمداً فأجبت عنه — وعند الله في ذاك الجزاء

هجوتَ محمَّداً براً حَنِيفاً — رسول الله شيمتُهُ الوفاء

إلى أن قال:

فمن يهجو رسول الله منكم — ويمدحه وينصــره سواء

وجبريل رســول الله فينا   وروحِ القدس ليس له كِفاء

فقال رسول الله -صلى الله عليـه وسـلم-: (هجـاهم حسـان فشـفى واشتفى) رواه مسلم.

فهـذا موقـف من المواقـف التشـجيعية على الشـعر الحسـن الـذي يــنزل على المشــركين وأهـل الفســق كالصــواعق القاتلة.. وينبغي للمسلم أن يـترفع عن ابتـداء المشـركين والفسـقة بالهجـاء إلا إذا بدؤوا بالذم، فإن الرد عليهم يكون حسناً؛ لفعـل النـبي -صـلى اللـه عليه وسلم-.

وهذا المقام ليس مقام بسط القصـائد الشـعرية فهي كثـيرة جـداً، ولكن المقصود بيـان أهميـة الشـعر، والتفريـق بين الشـعر الحسـن والشعر القبيح، وما ورد من النصوص النبويـة في ذم الشـعر فإنمـا يُحمل ذلك على الشعر القبيح، كما تقدم.

وهذه المهارة عزيزة في زماننا؛ نظراً لانتشار العاميــة بين النــاس، وضياع العربية الفصحى في واقع الناس، حتى لو وجد شـعر فكثـير منه باللهجات العامية، التي تحمل الغث من المصـطلحات والألفـاظ الركيكة، وإن كان طلاب العلم والدعاة وكثير من المثقفين قد نحـو نحواً جيداً في الاهتمام بالشعر الفصيح، فهو مبشر خير لعودة اللغة الفصحى إلى واقع الناس.

وهــذه المهــارة إذا وجــدت عنــد بعضِ الشــباب فينبغي على كُــلِّ المشــرفين ومُــدراء المســاجد وغــيرهم أن يُشــجِّعوهم عليهــا، ويُحفِّزوهم بأنواع المحفِّزاتِ المادية والمعنوية، وأنْ يعملوا جاهدين للرفع من شأن الشاب الجيد الذي يتقن مهارة الشعر.. فمـا أحوجنـا اليوم إلى الداعيـة الـذكي الـذي يألفـه النـاس، ويـؤثر في قلـوبهم بمختلف الوسائل! ومنها البيان الذي هو نوع من أنواع السحر الــذي يأخذ بالألباب، ومن البيان والبلاغة الشعر الحسن.

فهذه نصيحة عامة أردت بها التنبيـه إلى أهميـة الشـعر في الصـراع القائم بين الحق والباطل على مدى التاريخ، وفي التأثير في قلوب الناس، وهي أيضاً تنبيه لإخواني ليفرقـوا بين الشـعر الحسـن وبين الشعر السيئ؛ لأن بعض الناس يقـرأ النصـوص الـتي وردت في ذم الشعر فيظن أن الشعر مذموم بإطلاقه، مردداً الآية السـابقة الـتي ذكرناها أو بعض الأحاديث، ولا ينظر في بقية النصوص التي تشـجع على الشعر وتحث عليه إذا كان في خدمة الدين.

نسـأل اللـه أن يسـتخدمنا في خدمـة دينـه، وإبلاغ رسـالاته، ونصـح العباد.. إنه هو الولي الحميد.